ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [0.88].

العلاقات الجزائرية الإنـجليزية (١٦٦١ – ١٦٨٢)
قراءة جديدة في العلاقة بين الطرفين

بلقاسم قرباش

باحث دكتوراه في تاريخ غرب المتوسط

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة معسكر – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

إن البحث في دور الجزائر في البحر المتوسط؛ لا يزال يرتكز في فهمه على فهم العلاقة بين فرنسا والجزائر، وهذا أمر غير منطقي باعتبار أن اكتمال فهم الدور الجزائري بالبحر المتوسط، يفرض علينا إدخال الانجليز في هذه المعادلة؛ فأفضل الكتابات المتعلقة بالبحر المتوسط خلال الفترة الحديثة تعود لباحثين إنجليز، ولعل أبرزها ذلك العمل الرائع والموسوم بـ "البحرية الملكية"، والذي حلل لنا فيه صاحبه التواجد الإنجليزي بالمتوسط من خلال خمس مجلدات ضخمة. وتضم العلاقة بين الطرفين كما هائلا من الوثائق؛ تتصدرها الوثائق الرسمية المتمثلة بالمعاهدات ومذكرات القناصل والمراسلات، إضافة إلى الوثائق غير الرسمية التي تتصدرها مذكرات الأسرى الإنجليز في المدينة. لقد شهدت العلاقات الجزائرية الإنجليزية تطورًا غير مسبوق خلال القرن السابع، ففي الفترة الممتدة بين سنتي (١٦٢٠-١٧٠٠) شهد الطرفان توقيع حوالي (١٣) معاهدة، تمحورت أغلبها حول سلامة وأمن التجارة البريطانية. إن دراسة موضوع العلاقة بين الجانبين في العصر الحديث، لا يزال بكرًا في أبحاثنا الجزائرية، حيث نرى أن أغلب الباحثين يتوجهون في الأغلب لدراسة العلاقات الجزائرية الفرنسية والاسبانية والعثمانية، رغم أن فهم تاريخ الجزائر لن يتم إلا بفهم تاريخ العلاقة الانجليزية الجزائرية؛ كطرف مهم في قوى البحر المتوسط خلال الفترة الحديثة. تبدأ فترة دراستنا بسنة ١٦٦١ وهي نفسها السنة التي احتل فيها الانجليز طنجة، وتنتهي بسنة ١٦٨٢ وهي سنة عقد الإنجليز معاهدة مع الجزائر. إن استيلاء الانجليز على طنجة، كرس الهيمنة الانجليزية في البحر المتوسط، وساعد في تطوير العلاقة الانجليزية الجزائرية، من شقها السلمي، إلى استخدام القوة والعنف لإيقاف التهديد الجزائري للمصالح الانجليزية في المتوسط.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٧ فبراير ٢٠١٥

تاريخ قبـول النشـر: ٠٩ مايو ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:

البحر المتوسط، طنجة، إنجلترا، السياسة الإنجليزية، العلاقات الدولية

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0045084

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

بلقاسم قرباش. "العلاقات الجزائرية الإنجليزية (١٦٦١ – ١٦٨٢) قراءة جديدة في العلاقة بين الطرفين".- دورية كان التاريخية.- السنة العاشرة- العدد السابع والثلاثون؛ سبتمبر ٢٠١٧. ص٣٢ – ٣٨.

مُقَدِّمَةٌ

اتسمت العلاقات الجزائرية الإنجليزية (١٥٨١-١٦٦٠) بالتقارب السلمي، كون البريطانيين كانوا في حاجة ماسة لهذا التقارب من أجل الحفاظ على مصالحهم الاستراتيجية في المتوسط، وحماية سفنها ومواطنيها من غارات وهجمات بحارة الجزائر؛ لكن استلاء الانجليز على طنجة سنة ١٦٦١ أنتج تحولاً جذريًا في العلاقة بين الطرفين؛ من شقه السلمي إلى استخدام العنف، لإيقاف الأسطول الجزائري. جاءت هذه الدراسة لإخراج العلاقات الجزائرية الخارجية خلال الفترة الحديثة، من ارتكازها المفرط على العلاقات الفرنسية الجزائرية، وهذا أمر غير منطقي باعتبار أن اكتمال فهم الدور الجزائري بالبحر المتوسط، يفرض علينا إدخال الانجليز في هذه المعادلة؛ فالبحر المتوسط خلال هذه الفترة كان منطقة نفوذ إنجليزي فرنسي، يفرض على الدويلات الصغيرة هيكلة تواجدها على أساسه. إن أفضل الكتابات المتعلقة بالبحر المتوسط خلال الفترة الحديثة تعود لباحثين إنجليز، ولعل أبرزها ذلك العمل الرائع

والموسوم بـ "البحرية الملكية"، والذي حلل لنا فيه صاحبه التواجد الإنجليزي بالمتوسط من خلال خمس مجلدات ضخمة.

١- طنجة تحت السيطرة الانجليزية

في سنة ١٦٥٥ أرسلت انجلترا أسطولاً ضد كل من تونس والجزائر، ضمنت من خلاله تجديد معاهدة السلام مع الجزائر. وقاد استخدام الإنجليز للتهديد والقوة ضد طرابلس وتونس سنة ١٦٥٨ لعقد معاهدة سلام مع هاتين الدولتين. وبعد ميثاق الزواج الذي رتبه البرتغاليون مع شارل الثاني العائد من المنفى سنة ١٦٦١، أصبحت انجلترا رسميًا قوة في البحر المتوسط: "حيث أعيد اختيار شارل الثاني كملك لإنجلترا، الذي تزوج من الأميرة البرتغالية كاثرين براغينزا (Catherin of Braganza)، ليمنحه البرتغاليون صداقًا كبيرًا إضافة إلى مدينة طنجة الساحلية".[١]

أصبحت منطقة الشمال الإفريقي مجال جذب لكل القوى الكبرى، فالفرنسيون قاموا بالاستيلاء على مدينة جيجل الجزائرية سنة ١٦٦٤؛ لكن الأمر لم يدم طويلاً حيث طردوا منها. وفي المقابل واصل الفرنسيون دعمهم للبرتغاليين ضد أعدائهم الإسبان واعترفوا باستقلالها سنة ١٦٤٠، كما أنهم دخلوا في صراع مع الهولنديين لإجبارهم التخلي عن البرازيل، التي اغتصبوها من البرتغاليين.[٢]

كانت الملكة البرتغالية لويزا (Luisa) تبدوا فخورة كفاية؛ لأنها ستتخلص من التبعية الاسبانية، وقد أصبح الأمر الآن أكثر تعقيدا من ذي قبل في صراعها للدفاع عن حريتها ضد جيرانها الإسبان، وقد رأت الملكة أن التنازل عن طنجة، لا يعتبر شيئا بالمقارنة مع تجديد التحالف مع الإنجليز؛ رغم أن السكان البرتغاليين في طنجة كانوا غير راضين عن تصرف ملكتهم، بعد تخليها عن المدينة لصالح الإنجليز "الهراقطة"[٣]، والتي تعتبر إحدى آخر المدن البرتغالية المهمة في إفريقيا.[٤]

وطنجة مدينة مغربية، تخلى عنها أهلها لصالح البرتغاليين سنة ١٤٧١، وفي سنة ١٥٨٠ انتقلت المدينة إلى الأيادي الاسبانية، مع ما تبقى من ممتلكات برتغالية في هذه المنطقة. لكن البرتغاليين تمكنوا سنة ١٦٤٠ من طرد الاسبان من بلدهم (البرتغال)؛ أما طنجة وسبتة فقد بقيت تحت السيطرة الاسبانية لمدة ثلاث سنوات، استرجعها البرتغاليون بعد ذلك من أعدائهم الإسبان مجددا. وعند حصول الانجليز عليها سنة ١٦٦١ ظل الإسبان ينظرون إليهم نظرة الغيرة وادعوا أنها المدينة المتمردة. ورفضوا التسليم بأحقية الادعاء الانجليزي في امتلاكهم للمدينة.[٥]

كان الاستيلاء على المدينة يمثل ضربة موجعة للإسبان، فالقراصنة الاسبان المستقرين على سواحل طنجة؛ والذين هددوا البحرية والتجارة الإنجليزية خلال السنوات السابقة تم طردهم من المدينة إضافة إلى أن طنجة كانت تعتبر بمثابة القاعدة البحرية الانجليزية المتقدمة في المتوسط، حيث أصبح يمكن للإنجليز الآن أن يوجهوا حملات بحرية من خلال مدينة طنجة؛ ضد مناطق معينة في المتوسط، وبحصار طويل وهذا ما لم يكن يحدث من قبل، حيث أصبحوا يستطيعون تجنيب أنفسهم هجمات البحارة الجزائريين والتونسيين والطرابلسيين ولو بدرجة أقل من السابق.

كما أصبح في الإمكان منع بحارة المغرب الاسلامي من الوصول إلى سواحل المحيط الأطلنطي. "ففي الفترة الممتدة بين سنتي ١٦٠٩-١٦١٦ تمكن الجزائريون من الاستيلاء على ما لا يقل عن (٤٦٦) سفينة بريطانية، واحتجزوا طواقمها... أما في سنة ١٦٣١ فقد خلف هجوم بحارة الجزائر (قاد هذا الهجوم الرايس مراد) على مدينة بالتيمور (إحدى المدن الإنجليزية الواقعة على الجنوب الساحلي) أكثر من مائتين وستة وثلاثين مواطنا إنجليزيًا، جلبوا إلى الجزائر".[٦] ويذكر ويليام لارد (William Laird) أن ستين بحارًا من الجزائر، نفذوا غارة ناجحة على سواحل بينزينس[٧] (Penzance) سنة ١٦٤٠.[٨]

وجاء في الزهرة النائرة أنه في سنة ١٦٦٠ أخذ الجزائريون للإنجليز ٦٢ سفينة في ستة شهور. وقد يكون الرقم مبالغة لكن تحديد التاريخ هكذا ليس من قبيل المصادفة. فهو تاريخ يتطابق مع دفعة قوية "للقرصنة".[٩] وبعد حصوله على مدينة طنجة قام الملك شارل الثاني، بإعطاء تعليمات إلى اللورد بيتربراو (Peterbrough)، جاء فيها: "إن مشروعنا الرئيسي من وضع أنفسنا في هذا التكليف العظيم هو استغلال هذه الاضافة (طنجة) التي توجد تحت سيطرتنا، لدعم تجارة مواطنينا مع منطقة الساحل البربري وتوسيع سيطرتنا في هذا البحر... ونحن مسرورون لأنه لا توجد ضرائب أو رسوم أو أي نوع آخر من الضرائب تدفع عن حمولاتنا التي تستورد أو تصدر من مدينتنا مدينة طنجة... وبالطبع ستبقى ميناءً حرًا".[١٠]

٢-سياسة الإنجليز مع الجزائر بعد الاستيلاء على طنجة

كانت مدينة طنجة تمثل إحدى أكثر المناطق البحرية، تعرضا لغارات مستمرة من قبل بحارة الجزائر؛ باعتبارها كانت تابعة للإسبان وفيما بعد للبرتغاليين، حيث أن كلاّ من الدولتين كانتا في حالة حرب مع الجزائر، ما أعطى شرعية للهجمات الجزائرية على المنطقة، فالبرتغاليون كانوا يعلمون جيدا أن تقديمها هبة للإنجليز وضمان تحالف مع أعظم دولة في العالم آنذاك، أفضل من استمرار المنطقة بأيديهم وتعرضها لهجمات مستمرة من قبل بحارة المغرب الاسلامي والبحارة الإسبان، ما سيكلفها خسائر أكثر إضافة إلى أن الاسبان لن يسكتوا عن بقاء المدينة في أيديهم؛ بعدما كانت في السابق تعتبر مدينة اسبانية.

في ١٩ جوان ١٦٦١، أقلع السير جون لاوسون (John Lawson) مع ثمانين مقاتلاً تقلهم سفينتين من انجلترا؛ وفي ٢٩ جوان ظهروا أمام السواحل الجزائرية، ورغم أن المفاوضات انطلقت بين الطرفين؛ إلا أنها فشلت بعد فترة قصيرة من بدئها... ما جعل الأسطول يتجه مباشرة إلى طنجة بعد استيلاء الانجليز عليها، ومنها أقلع جون لاوسون إلى انجلترا في ١٤ ماي ١٦٦٢. بعد أن قضى مدة في إنجلترا التحق السير لاوسون بقائده، وعادوا إلى البحر المتوسط مرة أخرى لاستئناف المفاوضات مع الجزائر... وقد نجح الإنجليز في تحرير عدد من الأسرى؛ ولكنهم عندما طلبوا استرجاع الممتلكات الانجليزية المأخوذة، قال الداي أنهم لا يملكون أي شيء عنده، وبشجاعة قام بإعلان الحرب ضد الإنجليز.[١١]

وقد استطاع لاوسون الاستيلاء على إحدى سفن "القراصنة" الجزائريين ذات (٣٤) مدفعًا، و(٢٦٠) رجل، ولكن قبل أن يواصل عملياته الناجحة تم استدعائه إلى انجلترا، واستبدل بالكابتن توماس ألين (Thomas Allin)، الذي لم يقدم الشيء الكثير ضد "القراصنة"؛ لكنه بقي بالقرب من مضيق جبل طارق؛ حيث لم يطل المكوث ليتم استدعاؤه بعد ذلك أيضا نظرا لاندلاع الحرب الهولندية الانجليزية الثانية.[١٢] ونجح الإنجليز في تجديد معاهدة السلم مع الجزائريين بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٦٦٢، ويبدو أنهم استطاعوا هذه المرة ادراج طنجة كمدينة انجليزية يمنع التعرض لها من قبل بحارة الجزائر. حيث جاء البند (٨) كالآتي: "لا تهاجم أو ترسوا السفن الكبيرة والصغيرة للجزائر في مدينة وحامية طنجة (Tangier)، أو أي من الطرق، المرافئ والموانئ، والمدن والمناطق التي تتبع جلالة الملك البريطاني وليعمل كل طرف ما بوسعه للحفاظ على السلم والتجارة".[١٣]

لكن الانجليز لم يحافظوا على السلم، وذلك عندما أرسى أحد الضباط الانجليز بميناء طنجة ومعه عدد كبير من المسافرين الأتراك والجزائريين، وأجبرهم على العمل وذلك بجعلهم يشحذون الحجارة. ولم تكن الحكومة الانجليزية مهتمة بهذا الحادث. ورغم هذا الحادث إلا أن المؤسسة البحرية الجزائرية كانت لا تزال ضعيفة، وكانت معظم فوهات مدافعها من الحجم الصغير. بل أن سفن الجزائر الحربية الثلاث لم تدخل البحر خلال صيف ١٦٦٣، وقد أرسل شارل رسالة إلى الباشا يخبره فيها أن السيد جون لاونسون (Lownson) متوجه إلى الجزائر ليحصل على ترضيات نتيجة الاخلال بالمعاهدة. ولكي يطمئن شارل الرأي العام الانكليزي بأن هذه البعثة كانت في مكانها... قال: "سيكون من العار الكبير أن الأشخاص الذين يمنحهم الضابط الانجليزي حمايته... يجب تسليمهم إلى أيدي أعدائهم".[١٤]

وفي سنة ١٦٦٤ نجح القائد العام للأسطول الإنجليزي الأميرال (Thomas Allin) "توماس ألين" في تجديد معاهدة السلم والصلح السابقة بين الطرفين، بعد شهر فقط من تعيينه بمركزه. وبعد مدة قصيرة تمكن الفرنسيون وبالضبط في ٢٢ جويلية من دخول جيجل، رغم أن التقارير كانت تؤكد بأن الفرنسيين ينوون مهاجمة ستورا الواقعة على السواحل سكيكدة، وقد خلفت هذه الحملة حوالي أربعمائة قتيل يضاف إليهم الجرحى. استمرت الأخبار في الورود إلى فرنسا عن طريق الطائفة الماركنتيلية برضى كبير؛ لترسل الحكومة قافلة من تولون إلى جيجل تحت قيادة الماركيز دومارتال مع ذخيرة كبيرة، ومجموعتين من الخيول. وكانت الفكرة التي تراود لويس هي وضع قاعدة بحرية دائمة على سواحل المغرب الاسلامي تشبه تلك التي يملكها الإنجليز في طنجة.[١٥] وجاءت معاهدة ١٦٦٤ لتضيف بندًا جديدًا، تمثل في تعيين قنصل انجليزي ثابت في الجزائر، والذي يسمح له بمغادرة الجزائر في حالة تصدع العلاقة بين الطرفين مستقبلا، دون أي عرقلة أو اعتداء من قبل الجزائريين.[١٦]

وكانت أكثر القضايا التي تؤدي إلى توتر العلاقة بين الطرفين، هي قضية تفتيش السفن الإنجليزية والمساس بالرعايا والمواطنين الاسبان والبرتغاليين الموجودين على متن السفن الانجليزية، وقد كان الجزائريون يعتبرون أن هؤلاء الرعايا غنائم شرعية، مادامت دولهم توجد في حالة حرب مع الجزائر. وجاءت معاهدة سنة ١٦٦٨ لتعالج هذه النقطة، فكانت المادة الثامنة كالآتي: "إن كل السفن التابعة للملك الانجليزي أو لرعاياه؛ ونفس الشيء بالنسبة للسفن المملوكة للدولة الجزائرية أو للأفراد الجزائريين، لها حرية المرور بالبحر المتوسط والمتاجرة دون أي تفتيش، أو إعاقة وتحرش؛ وكل الأفراد أو المسافرين الخاضعين لبريطانيا أو الجزائر يعتبرون هم وأموالهم وممتلكاتهم وسلعهم آمنين ومهما يكن لا يتم المساس بمواطني أي دولة أجنبية يكون أفرادها فوق السفن التابعة لجلالة الملك البريطاني، وبالطبع لا يأسر أو يسلب، أو يمس بأي أذى أو تخريب أفراد كلا الطرفين".[١٧]

وأما المادة الأولى: "يسمح للجزائريين إرسال لجنة تفتيش إلى ظهر أي سفينة إنجليزية إذا التقت بها في البحر، شرط أن تكون هذه اللجنة مكونة من رجلين جزائريين. فإذا كان طاقم السفينة يضم مواطنين إنجليز أكثر من المواطنين الأجانب، تغادر السفينة بحرية دون أي عرقلة، وفي حالة وجد المواطنون الأجانب أكثر من نظرائهم الإنجليز، تصبح قانونيا غنيمة للجزائريين، إلا إذا كانت تحمل جواز مرور موقع من الداي". المادة الثانية: " لا يتعرض الجزائريون لأي مركب إسباني محمل بذخائر وممتلكات موجهة لمدينة طنجة الإنجليزية". المادة الثالثة: "لا يسمح لأي سفينة بحرية جزائرية متوجهة إلى مدينة سلا أن تقوم بعمل حربي ضد السفن الانجليزية، وأما السفن المتوجهة إلى مدينة طنجة فيجب عليها أن تحمل جواز سفر يقدمه لها القنصل الإنجليزي بالجزائر".[١٨]

ويذكر السيد بيبيز (Pepys) أن الملك البريطاني قرر تعزيز التواجد الانجليزي في البحر المتوسط لكن في الحقيقة أنه وفي ١٨ جوان ١٦٦٩ أصدر الملك مرسوما يتضمن إرسال بعثة إلى الجزائر، بقيادة السير ألان لتجديد معاهد الصلح والسلم مع الجزائر إن أمكن؛ لكن دون استخدام أي عنف، وقد أصدر الدوق يورك، القائد الأعلى للقوات البحرية الإنجليزية تعليمات صارمة إلى موفده، وطلب منه أن يأخذ على عاتقه قيادة هذه القوة البحرية؛ المكونة من السفن التالية: ريزوليشن (المستوى الثالث)، رافنج (المستوى الثالث)، ماري (المستوى الثالث)؛ بريستول (المستوى الرابع)؛ فورسايت (المستوى الثالث)؛ السير دافيس (المستوى الرابع)، جانتيريون (المستوى الرابع)، التنين (المستوى الرابع)، بورتلاند (المستوى الرابع)، جيرسي (المستوى الرابع)، نانساش (المستوى الرابع)، كونستنس وورويك (المستوى الرابع)؛ إكليل الزهر (المستوى الخامس)، دارتشموث (المستوى الخامس)، ميلفورد، اللؤلؤة (المستوى الخامس)، البرتقالة (راجمة قنابل)، ليتل فيكتوري (راجمة قنابل)، اليد الذهبية (حاملة ذخائر)؛ دابتفورد (سفينة من نوع الكاتش ذات الصاريين) بورتسموث (من نوع الكاتش)؛ مرحبا (راجمة قنابل).[١٩]

وطلب دوق يورك من توماس ألان قائد الحملة أن يقوم بأسر أي سفينة جزائرية يصادفها في طريقه، بحيث يفاوض بها الجانب الجزائري، وأن يحرص على إطلاق سراح جميع الأسرى الاسبان الذين وجدوا على ظهور السفن الانجليزية، وكذا الانجليز الذين وجدوا على ظهر السفن المعادية للجزائر. أما في حالة فشل المفاوضات فله الحق في قصف المدينة لكن التعليمات كانت تقضي بضرورة التوصل إلى اتفاق دون استعمال العنف. لم يحصل الانجليز على الترضيات المرجوة، ورغم أن توماس آلان عاد إلى الجزائر مرة ثانية في أوت سنة ١٦٦٩، إلا أنه لم يتوصل إلى أي نتائج مرضية، وفي سبتمبر عاد مرة أخرى وقام بقصف المدينة والاستيلاء على مجموعة من الفرقاطات الجزائرية الموجودة بالميناء، وفي نوفمبر من نفس السنة كتبت ثلاث رسائل من قبل القنصل الإنجليزي[٢٠] إلى السيد ويليامسان (Williamson)، أكد له فيها تواجده كأسير في منزله الخاص، لكنه "إذا تدخل الملك وطلب تحريري فسيوافقون على الفور". ويعتبر القنصل صديقًا مقربًا للباشا الذي ساعده بتوفير الحماية له، وفي هذه الفترة كان يتواجد في الجزائر حوالي مائتي مواطن انجليزي كأسرى في المدينة.[٢١]

لم تكن هذه الأحداث لتمر هكذا، دون أي رد فعل إنجليزي متوقع، فالشرف الملكي أصبح عرضة للمساس، والهيبة الإنجليزية يمكن أن تتعرض للاهتزاز، ولهذا أصبح الإنجليز مطالبين برد فعل يحفظ ماء الوجه الإنجليزي على الاقل. وقد شهدت سنة ١٦٧٠ عمليات بحرية ناجحة ضد الأسطول الجزائري استطاعت انجلترا من خلالها أن تضعف الحركة البحرية الجزائرية بشكل واضح. ففي ١٢ أوت ١٦٧٠ شوهدت مجموعة من السفن الجزائرية، وتم مطاردتها من قبل الأسطول الإنجليزي والهولندي، لتجبر على الهروب نحو رأس سبارتل (Cape Spartel). لكن الإنجليز تمكنوا من إحراق سفينتين؛ أما الباقي فقد تمكن العبيد المتواجدون على ظهورها من الاستيلاء عليها، وتقييد طاقمها إلى غاية وصول القائد بيتش، فأحرق سفينتين وقام الهولنديون بإحراق اثنتان. وجاءت أسماء السفن الجزائرية كالآتي: سفينة إناء الزهرة ذات (٤٤) مدفعًا و٤٨٨ رجل، سفينة النمر ذات (٤٤) مدفعًا و(٤٨٨) رجل، سفينة الفهد ذات (٤٤) مدفعًا و(٣٨٠) سفينة، سفينة النخلة ذات (٤٠) مدفعًا و(٣٠٠)، سفينة راعي الغنم ذات (٣٨) مدفعًا و(٣٦٠) رجلاً، والوردة الذهبية ذات (٣٨) مدفعًا و(٣٣٠) رجلاً.

وفي مايو ١٦٧١، وصلت أخبار إلى القائد الانجليزي مفادها أن مجموعة من السفن الحربية الجزائرية ترسو على ساحل بجاية، وبعد هجوم إنجليزي فاشل، وفي الوقت الذي كان يجهز فيه الانجليز أنفسهم لهجمة ثانية؛ استطاع الجزائريون حماية أنفسهم خلف مجموعة من الكتل الخشبية القوية؛ لكن الإنجليز اخترقوها واستطاعوا تدمير سبع بوارج جزائرية ذات الثمانية والعشرين إلى الثلاثين مدفعًا. هذه الأحداث دفعت الرياس إلى الثورة ضد السلطة؛ وتعيين أول داي ذات صلاحيات جديدة ودخول الجزائر مرحلة الدايات، وبهذا تمكن الإنجليز من إجبار الداي على توقيع معاهدة صلح وسلام جديدة.[٢٢]

٣-تصدع العلاقات الإنجليزية الجزائرية ١٦٧١-١٦٨٢

في الوقت الذي كانت فيه المفاوضات جارية بين الطرفين الجزائري والانجليز، قام الكابتن جون هولمز (Captain John Holmes)، بتصعيد عملياته على مضيق جبل طارق، أين استطاع احراق إحدى الغنائم الجزائرية، وقاد إحدى البوارج إلى الساحل.[٢٣] لكن تجدد الحرب مع هولندا جعلت الطرفان يتوصلان إلى اتفاق في ٢٩ نوفمبر ١٦٧٢؛ يقضي بتجديد معاهدة الصلح والسلم التي وقعت سابقا بين الجانبين. وفي جوان ١٥٧٤ عين (Samuel Martin) "ساموال مارتين" كقنصل انجليزي في مدينة الجزائر ولسوء حظه فقد سمح له بممارسة التجارة حيث اشترك مع التاجر اللندني الشهير وليام باوتال (Bowtell William)، الذي اعتبر نفسه وكيلاً لافتداء الأسرى، وللأسف فَقَدَ كل ثروته على إثر هذه العملية الفاشلة.[٢٤]

وعند عودته إلى انجلترا شرح الأخير للملك الانجليزي أن القنصل يوجد في خطر بالغ، بعد الثورة التي قادتها الانكشارية. وكما توصي به الأعراف فإنه بعد توقيع أي دولة أوربية السلم مع الجزائر؛ فعليها أن تقوم بافتداء أسراها، وهذا ما لم يكن يستطع

الانجليز القيام به في الوقت الراهن؛ خاصة وأنهم كانوا يحتاجون إلى هذه المبالغ لتدعيم مراكزهم في أوربا. وقدم السير سبارغر وعودًا للديوان؛ بأنه وخلال ثلاثة أشهر إن لم يقم الإنجليز بافتداء أسراهم؛ فللجزائريين الحق بإنهاء العلاقات في نوفمبر ١٦٧٤.

وفي ١٩ سبتمبر من السنة نفسها قرر الملك الانجليزي؛ تعيين لجنة لافتداء الأسرى الإنجليز الغير مهمين، لكن الداي وبخجل أرسل إلى الملك البريطاني يخبره بضرورة افتداء الأسرى لتهدئة ثورة الانكشارية، ولهذا فيجب على الانجليز افتداء خمسة رجال يخصون قادة المدينة، وثلاثين رجلا يخصون الباشا والقادة الكبار في الدولة... وفي ٨ ديسمبر عاد الاسطول الانجليزي السابق إلى الجزائر محملاً بـ (٧٥) ألف قطعة ذات الثمانية لفدية الأسرى الإنجليز، ورغم الصعوبات التي لاقتها البعثة بسبب تزييف اليهود لدليل الأسرى الموجود بقصر الداي؛ إلا أنه وفي جانفي ١٦٧٥ تمكنت البعثة من انهاء مهمتها بافتداء (١٨٩) أسير بمبلغ (٥٦) ألف قطعة ذات الثمانية، وهدايا بقيمة ٦٠٥٢ قطعة ذات الثمانية قدمت للديوان.[٢٥]

وفي الفترة الممتدة بين سنتي ١٦٧٧-١٦٨٠، تمكن بحارة الجزائر من الاستيلاء على ١٥٣ سفينة إنجليزية، كان على ظهرها ١٨٥٠ رجل، وممتلكات قيمتها ١٥٣ ألف إسترليني، من بينها أربعة سفن من ماساشوست[٢٦] (Massachusetts) هي كالآتي: **(البركة، الوردة، الوحدة، وليام وماري).** وغادرت هذه السفن من بوستن وشارلستون حيث قتل من طاقمها ما لا يقل عن ستين شخصًا، وعدد غير معروف من المسافرين من بينهم امرأة تسمى (Mary Litchfield) "ماري لشفيلد"، وأسروا تسعين شخصًا كانوا محظوظين جدًا أن تم افتدائهم، وأغلب هؤلاء عادوا إلى منطقة نيو انجلن لعيش حياتهم بصورة طبيعية، أما الباقون في مدينة الجزائر؛ فقد ماتوا سواء من جراء المرض أو الأعمال الشاقة.[٢٧]

وهنا جدول يوضح عدد الأسرى وأسماءهم والسفن الانجليزية المأسورة في الفترة الممتدة بين سنتي ١٦٧٨-١٦٨٤:[٢٨]

السفينة/ الطاقم	مولد-وفاة	المدينة/المنطقة	السنة	القدر
سفينة البركة			١٦٧٨	
- بابل روجر	--	بوسطن		مجهول
- باستر بنجامين	؟-١٦٥٢	بوسطن		مجهول
- برانستوم أرثر	--	بوسطن		مجهول
- توماس كوربين	١٦٥٦-١٧٠٤	ميودي ريفر		افتدي سنة ١٦٨١
- دجرانكر فيليب	--	شارلستون		مجهول
- الكابتن جيمس إلسون	١٦٤٣-١٦٨٠	شارلستون		افتدي سنة ١٦٧٩
- ريتشارد إلسون	--	شارلستون		مجهول
- لوفداي لامبسون	--	--		افتدي سنة ١٦٨١
- ويليام مارش	توفي سنة ١٦٩٥	شارلستون		مجهول
- دانيال ماسون	١٦٤٠-١٦٨٠	ووترتاون		توفي أسيرًا ١٦٨٠/٥
- بينجامين ميريك	١٦٤٤-١٧٠١	شارلستون		افتدي سنة ١٦٨٤
- توماس ميشال	--	شارلستون		مجهول
- ميشال نيوكومب	--	شارلستون		افتدي سنة ١٦٨٩
- جورج سميث	--	بوسطن		افتدي سنة ١٦٨١
سفينة الوردة			١٦٧٨	
- الكابتن جون فيرنال	١٦٥٤-١٦٩٩	بوسطن		هرب
- توماس جينار	١٦٥٨-١٧٠٦	شارلستاون		افتدي سنة ١٦٨١
- توماس ميشال	١٦٢٨-١٧٠٩	مالدين		افتدي سنة ١٦٨١

السفينة/ الطاقم	مولد-وفاة	المدينة/المنطقة	السنة	القدر
سفينة الوحدة			١٦٨٠	
- الكابتن وليام كوندال	١٦٣٨-١٦٨٥	بوسطن		افتدي سنة ١٦٨١
- جون شابمن	--	--		افتدي سنة ١٦٨١
- وليام هاريس	١٦١٠-١٦٨١	بروفيدنس		افتدي سنة ١٦٨١
- سيمون جونسون	--	--		افتدي سنة ١٦٨١
- جون واتس	--	بوسطن		افتدي سنة ١٦٨١
سفينة ويليام وماري			١٦٨٠	
- الكابتن ويليام أشلي	--	بوسطن		افتدي سنة ١٦٨٥
- جون بامستيد	١٦٥٤-١٧٢٤	بوسطن		افتدي سنة ١٦٨١
- جوشوا جي	١٦٥٦-١٧٥١	بوسطن		افتدي سنة ١٦٨٧
- بينجامين هالويل	؟-١٦٨٦	بوسطن		افتدي سنة ١٦٨٩
- جورج باركيس	--	بوسطن		توفي أسيرًا
سفينة المغامر جون			١٦٨١	
- الكابتن كريستوف مونك	--	بوسطن		افتداه أحد الانجليز ١٦٨١
سفن مجهولة				
- موسس أيريس	ولد ١٦٦٤	دورشيستر	١٦٨٠	افتدي بعد ١٦٨٤
- باونس	--	روكسبوري	١٦٨٥	مجهول
- أليكسندر دوميت	--	بوسطن	١٦٨١	مجهول
- ساموال غولد	--	بوسطن	١٦٨٠	مجهول
- توماس غولد	؟-١٦٥٧	--	١٦٨٠	مجهول
- جون غرين	--	كامبرج	١٦٨١	مجهول
- جوزيف خوان	١٦٤٠-١٧٠٣	--	١٦٨٠	مجهول
- ماري ليتشفيلد	--	دروشيستر	١٦٨١	افتدي سنة ١٦٨٣
- روبنس	--	دروشيستر	١٦٨٣	افتدي سنة ١٦٨٤
- توماس ثاتشر	--	--	١٦٨٠	مجهول
- تاكر	--	بوسطن	١٦٨٥	مجهول
- ويدن	--	بوسطن	١٦٨٣	مجهول

وفي سنة ١٦٨٢ توصل الطرفان الانجليزي والجزائري إلى توقيع معاهدة صلح وسلام[٢٩]، وقد احتوت المعاهدة على اثنين وعشرين بندا، ثبتت سلامة المواطنين الإنجليز، إضافة إلى تأمين التجارة الإنجليزية. ومنعت بحارة الجزائر من التعرض لمدينة طنجة. كما منعت بيع السلع الإنجليزية المأسورة في مدينة الجزائر؛ أو في أي نطاق يخضع لنفوذها.

كما عالجت المعاهدة قضية تفتيش السفن الجزائرية، وذلك في البند (٤): إن صادف والتقت سفينة جزائرية حربية أو أي سفينة أخرى من أي نوع؛ بسفينة تجارية أو أي سفينة أخرى تابعة لرعايا الملك البريطاني في مناطق بحرية لا تخضع للسيطرة البريطانية، يسمح للجزائريين بإرسال قارب واحد يحمل مُرَاقِبِيْنِ بحيث لا يتعرضان لأي سلع موجودة على ظهر السفينة، وللمراقبين الحق في الاطلاع على جواز السفر الممنوح من قبل الأدميرال الانجليزي والايرلندي، أو القائد الأعلى للقوات الأيسلندية، وبهذا فإن هذا القارب له الحرية التامة في المغادرة، وتظل هذه المعاهدة طول خمسين شهرًا من توقيعها راسخة ولا تخرق، وإن صادف والتقت أي سفينة تابعة للملك البريطاني أو رعاياه بسفينة جزائرية تغادر بحريّة، لكن وبعد هذا التاريخ (أي بعد الخمسين شهرًا) يتوجب على السفن التجارية المملوكة للدولة أو الأفراد، أو حتى السفن الحربية أن تقدم جواز سفر مختوم من قبل الداي، والذي يمنحه بالنيابة عنه القنصل الانجليزي بالجزائر للمرور؛ أما إذا لم تكن تحمل هذه السفن جواز سفر بعد هذا التاريخ تصبح طواقمها ملكًا للأتراك والمغاربة كأسرى بالجزائر، لكن بعد

وصولهم إلى المدينة ويتم التأكد بأنهم انجليز ثم يطلق سراحهم مباشرة، والأمر نفسه يتعلق بالجزائريين فإنه وبعد مرور خمسين شهرًا من هذا التاريخ، يصبح إلزامًا على الجزائريين إظهار جوازات سفرهم للسفن الحربية البريطانية.

خَاتِمَةٌ

شهدت الفترة الأخيرة من القرن السادس عشر، تراجع الهيبة العثمانية والإسبانية وصعود دول جديدة تمثلت في فرنسا وانجلترا وحتى هولندا، هذه الدول لم تعد تحارب من أجل الدين، بل طورت بحرياتها لتتلاءم مع مصالحها التجارية والاستراتيجية في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. ورغم أن العلاقات الجزائرية الانجليزية شهد استقرارًا أواخر القرن السادس عشر؛ إلا أنها شهدت تراجعًا مع مطلع القرن السابع عشر، كون الانجليز وقعوا معاهدة سلام مع إسبانيا، العدو الأول بالنسبة للجزائريين، وبهذا أصبح يُنظر إلى انجلترا كدولة معادية، لأنها وقعت على الصلح مع الأعداء. إن العلاقات الجزائرية الإنجليزية اشتدت خلال القرن السابع، ففي الفترة الممتدة بين سنتي (١٦٢٠-١٧٠٠) شهد الطرفان توقيع حوالي (١٣) معاهدة، تمحورت أغلبها حول سلامة وأمن التجارة البريطانية. وإن دراسة موضوع العلاقة بين الجانبين في العصر الحديث، لا يزال بكرًا في أبحاثنا الجزائرية، حيث نرى أن أغلب الباحثين يتوجهون في الأغلب لدراسة العلاقات الجزائرية الفرنسية والاسبانية والعثمانية، رغم أن فهم تاريخ الجزائر لن يتم إلا بفهم تاريخ العلاقة الانجليزية الجزائرية؛ كطرف مهم في قوى البحر المتوسط خلال الفترة الحديثة.

الهَوامِشُ:

(1) John B. Hattendorf, *Naval Policy and Strategy in the Mediterranean Past, Present and Future*, London: FRANK CASS, 2000, P. 23.
(2) A. Berbrugger, "*Occupation anglaise de Tanger (de 1662 à 1683)*", Revue Africain, Vol 5, 1861, P.337.
(٣) يسمي المسيحيون الكاثوليك كل من خرج عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية هرطقيا، وباعتبار أن الإنجليز كانوا يتبعون المذهب البروتستانتي اللوثري فإن الشعب البرتغالي ظل ينظر إلى الانجليز كأعداء لهم، وهذا عكس السلطة العليا التي لم يعد الدين عندها يعني أي شيء، فالمصالح التجارية والاستراتيجية قد طفت فوق كل هذه الأمور.
(4) Miss Enid Routh, *"The English Occupation of Tangier 1661-1683"*, Transaction of The Royal Historical Society, Vol19, 1905, p62.
(5) Ibid.
(6) William Laird Clowes, T*he royal Navy, A History from the Earliest Times to the Present*, In 5 Vol (Vol2), London: Sampson Low, Marston and Company, 1898, p22-23.
(٧) إحدى المناطق الإنجليزية الساحلية، تقع على الجنوب الساحلي.
(8) William Laird Clowes, op.cit., Vol2, p23.
(٩) مروش المنور، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (القرصنة، الواقع الأساطير)**، ج٢، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩ ص٣٣١.
(10) Miss Enid Routh, op.cit., p62.
(11) William Laird Clowes, op.cit., Vol2, P 322.
(12) William Laird Clowes, op.cit., Vol2, P 322.
(13) George Chalmers, *A Collection of Treaties, Between Great Britain and Other Powers*, 2Vol (Vol2), London: Printed for John Stockdale, Piccadily, 1790, P.361.
(١٤) جون. ب. وولف، **الجزائر وأروبا**، تر. أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦، ص٣٢٣.
(15) Jullian S. Corbett, *England in The Mediterranean*, 2Vol (Vol 2), 2(nd) Ed, London: Longmans, Greend and Co 1916, P. 338.
(16) Playfair, E. L, *The scourge of Christendom, Annales of British relations with Algiers prior to the French conquest*, London: Smith, Elder, And Co, 1884, p88.
(17) George Chalmers, op.cit., P.362.
(18) Playfair, E. L, op.cit., P.97-98.
(19) Ibid, p98-99.
(٢٠) هو السيد ساموال مارتين *Samuel Martin*، القنصل الإنجليزي بالجزائر خلال الفترة الممتدة بين سنتي ١٦٧٤-١٦٨٠.
(21) Ibid, p101.
(22) Jullian S. Corbett, op.cit., p359.
(23) William Laird Clowes, op.cit, P441.
(24) Playfair, E. L, op.cit., p114.
(25) Ibid, p116-117.
(٢٦) ولاية أمريكية تقع شمال أمريكا، على المحيط الأطلسي، وواحدة من الولايات الست لنيو انجلن، والتي كانت سابقًا تخضع للنفوذ الإنجليزي.
(27) Beth A. Bower, *"Captivity with ye Barbarous Turks": Seventeenth-*Century *New Englanders Held Hostage*, New England Historic Genealogical Society, spring 2012, Vol 13, No 2, p18-19.
(28) Ibid, P19.
(٢٩) لمزيد من المعلومات:
Article of Peace and Commerce between the most serene mighty Prince Charles 2, by the grace of God King of Great Britain, France and Ireland, defender of the faith, and the most illustrious Lords, The Bashaw, Dey, Aga, and Governours of the famous City and Kingdom of Algiers in Barbary: concluded by Arthur Herbert, Esquire, Admiral of his Majesties Fleet in The Mediterranean seas: on the Tenth of April, Old Stile, 1682, Printed by John Bill, Henry Hills, Thomas Newcomb, London, 1682.